اثر الوهابية في انحطاط الحضارة الاسلاميّة

* شاكر ساعدی

* استاد حوزه و عضو هیئت علمی جامعة المصطفی العالمیة.

الإسلام منذ اللحظات الأُولى دعى إلى إرساء أسس المدنية والثقافة في المجتمع الإسلامي، بل كان يدعو إلى كلّ أمر يحقّق الحضارة العالمية لجميع أبناء البشر؛ إذ إنّه يرى من وظائفه الأولية العمل على انتشال الواقع الإنساني من واقع جاهلي تسوده الأميّة وتنتشر فيه مظاهر التخلّف إلى واقع حضاري تسوده الثقافة والتنوير بالمعارف الدينية التي لا معرفة فوقها؛ لأنّ الهدف هو إيصال الإنسان إلى كماله المطلوب، وتحقيق السعادة له في الدارين. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] فهي دعوة إلى إحياء النفوس بالعلم والمعرفة، وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾،[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾.[3]

وعلى هذا الأساس استطاع النبي الأكرم محمد ﷺ أن يكوّن للمسلمين حضارة لا نظير لها، تقوم على أسس متينة وقواعد رصينة، كالعلم والتقوى والمحبة والنصرة والتعاون على البرّ والخير، مع تأكيده ﷺ على إحياء القيم والمبادئ الإنسانيّة والأخلاقيّة

١. سورة الأنفال، الآية ٢٤.

٢. سورة العلق، الآيات ١-٥.

٣. سورة النمل، الآية ٨٠.

في المجتمع الإنساني، فالحضارة في الرؤية الإسلاميّة هي فكر ونتاج خاصّ، لا كما أريد لها أن تكون فكر بلا نتاج، كالحضارة القائمة على أسس فلسفيّة محضة، أو نتاج بلا فكر، كالحضارة القائمة على أسس ماديّة فقط.

◆ **العوامل الحضاريّة وموقف الوهابيّة منها**

هناك عدّة عوامل إذا تحقّق في الأمّة تكشف عن تمتعها بمقومات الحضارة العالميّة، نشير إليها هنا باختصار، ثمّ بعد ذلك نوضّح كيف أنّ الوهابية قد عملت على منع تحقّق مثل هذه العوامل في الأمّة الإسلاميّة، حتّى صارت سبباً في تحطيم الحضارة الإسلاميّة«فلم يكونوا [أي: الوهابية وأهل الحديث][1] للعلم أولياء ولا للمدنية أحباء»[2] وهذه العوامل، هي:

أوّلاً، أولوية العلماء والحكماء وتقدّمهم على غيرهم؛

ثانياً، الدعوة إلى الحكومة العادلة؛

ثالثاً، الحفاظ على الاستقرار السياسي والأمني؛

رابعاً، مواكبة حالة التقدّم والتطوّر في مختلف الميادين الحياتيّة؛

خامساً، الثقة بالنفس، والعمل على كشف القدرات والاستعدادات الكامنة في المجتمع؛

سادساً، العامل الاقتصادي وأثره في التقدّم التكنولوجي والعلمي؛

سابعاً، العامل الثقافي والمعرفي وأثره في عرض وبيان مفاهيم الدينية الصحيحة.

---

١. كما بيّن ذلك رشيد رضا بتعليقة في الهامش كتاب *الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية*.

٢. *الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية*، ص١٢٨.

فهذه وغيرها من العوامل إذا ما تحقّق وجودها في أيّ أمّة من الأمم الإنسانيّة فإنّها تعمل على تقدّم الأمّة في ركبها الحضاري، ولكن المصيبة كلّ المصيبة ما لو أنّ أبناء هذه الأمّة أو زعماءها ممّن بيدهم القرار أو ممن له التأثير في الأمّة أن يقوم بنفسه مانعاً وحائلاً دون تحقّق هذه العوامل الحضاريّة، كما في محاربة الوهابيّة لكلّ ما من شأنّه أن يحقّق المدنية والتقدميّة للأمّة الإسلاميّة، وذلك بسبب ما يتمتّع به هذا النهج الوهابي في التعاطي مع الواقع الخارجي على أساس الجهل المركب، الجامع لمعاني التخلف والجاهلية الجهلاء؛ لأنّه نهج لا يُعير للحياة أيّ اهتمام بقدر ما يسعى للوقوف بوجه الإنسان بما هو إنسان يريد لنفسه الحياة والبقاء والتقدّم في ميادين الحياة العلمية المختلفة، وقد كان من بين تلك المظاهر الحضارية التي قام بمواجهتها والوقوف بوجهها؛ مايلي:

◆ **أوّلاً، الحد من ظاهرة التعلّم في الأوساط الإسلاميّة**

قد يستغرب البعض عند قراءة هذا العنوان؛ إذ بعد هذا التقدّم الهائل، وحاجة الإنسان لمواكبة المظاهر العصرية، كيف نجد أُناساً يدعون إلى إفشاء حالة الأمية وانتشار الجهل في الأوساط الإسلاميّة؟

نعم، قد يُعتذر لهؤلاء جماعة الخاصّة من المسلمين، بأنّهم لا يريدون أن يقفوا بوجه العلم والتعلم بشكل مطلق، بقدر ما يريدون أن يبيّنوا بموقفهم هذا، أنّ هناك غزواً ثقافياً للمجتمع الإسلامي يعمل تحت غطاء تعلّم العلوم الحديثة؛ لأبعاد المسلمين عن تعلّم معارفهم الإسلاميّة بالأنشغال بتعلم هذه العلوم الدنيويّة واللادينيّة، وبذلك تنحرف الأمّة الإسلاميّة عن خط التوحيد وتميل إلى الشرك البغيض.

كما أنّ تعلّم المرأة لهذه العلوم في المدارس والجامعات الأكاديميّة يدعو إلى خروجها من البيت واختلاطها بالأجانب، ونحوها من اللوازم المخالفة للتعاليم الإسلاميّة،

فتحريمنا ومنعنا للمرأة من تعلّم هذه العلوم والحضور في هذه المدارس والجامعات من باب الحفاظ على كرامتها وشخصيّتها وصيانتها من جميع ما يلحق بها أثر خروجها من البيت إلى تلك المحافل والمدارس العلميّة.

وقد يكون هذا التوجيه ـ كما جاء في ذيل فتاواهم وآرائهم إزاء هذه المسألة ـ مقبولاً في الوهلة الأولى، ولكن بلحاظ ما يرتبط عليه من نتائج وخيمة على الأمّة الإسلاميّة في المستقبل، قد يكون مرفوضاً من منطلق العقل والدين، فالإسلام كما حرّم على المرأة الاختلاط بالأجانب، وضع حلولاً مناسبة لا تمنع من تعلّم المرأة لمختلف العلوم الإنسانيّة والدينيّة، وبالخصوص المعارف الضورية التي يحتاج إليها المجتمع النسوي، كالطبابة، وسائر المهن الأخرى التي تحتاج إليها المرأة في مواكبة التقدّم العلمي والتكنولوجي.

وقد أكّد النبي صلى الله عليه وآله على وجوب طلب العلم، قال صلى الله عليه وآله: «طلب العلم فريضةٌ على كلّ مسلمٍ ومسلمةٍ»؛[1] لأنّ العلم وهو نقطة الإنطلاق في تحقّق مظاهر الحضارة والمدنية ومعالمها، وبدونه لا يمكن تحقق هذه المظاهر الحضاريّة في الواقع الخارجي، ولم يكن الإسلام في يوم من الأيّام محارباً للعلم أبداً، بل شجع على ظاهرة الإبداع عند المسلمين، ولكن للأسف الشديد، نجد أنّ من بيّن زعماء الوهابيّة، من يقف موقفاً سلبياً أمام ظاهرة التعلّم لمختلف المعارف والعلوم الإنسانيّة، وإليك أقوال بعضهم:

١. صالح اللحيدان، رئيس المجلس الأعلى للقضاء، الذي قام بالربط بين ضعف الالتزام وانتشار المدارس! حيث يقول:

١. *مستدرك الوسائل*، ج١٧، ص٢٤٩؛ *مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق* عليه السلام، ص١٣؛ عوالي اللئالي، ج٤، ص٧٠؛ *شرح مسند أبي حنيفة*، ص٥٣٧.

ففي بلادنا تضعف روح الإسلام ويخف سلطانه على النفوس عند المتعلّمين، ويتّسع هذا الضعف يخف ذلك السلطان بقدر ما يتّسع التعليم وتنتشر المدارس.[1]

٢. عبد الله بن حميد، الذي كتب الى وزير المعارف عن رأيه حول أسباب الجهل بالدين، وأنّه يعود إلى تعلّم «هذه الفنون المعوقة كالرسوم والأشغال والرياضة البدنية والألعاب الأخرى».[2]

٣. فتوى عبدالله سليمان بن حميد:

كثيراً ما نسمع كلمات حول تعليم البنات، وفتح مدارس لهن، وكنا بين مصدّق ومكذّب حتّى تحقّق ذلك رسميّاً، فاستغربنا هذا، وأسفنا له غاية الأسف... وإنّي أنصح لكلّ مسلمٍ: أن لا يدخل ابنته أو أخته في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة، وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السفور والفجور وسقوط الأخلاق والفضيلة.

إلى أن قال:

فجانا خبر فادح ومصيبة عظيمة، وطامة كبرى، ألا وهي: فتح مدارس لتعليم البنات... أيّها المسلمون: يا أهل الغيرة والأنفة، اسمعوا لهذا التصريح الشنيع الذي يقصد منه.. مجاراة الأمم المنحلة في تعليم بناتكم الحساب والهندسة والجغرافيا، ما للنساء وهذه العلوم، تضاف إلى ما يزيد عن أحد عشر درساً غالباً لا فائدة فيها،

١. انظر *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*، ج١٦، ص٥٠-٥١.

٢. انظر المصدر السابق، ج١٦، ص١٥.

إنّها لمصيبة وخطر على مجتمعنا. إنّ تعليم المرأة... خطر عظيم على المجتمع، ومصيبة لا تجبر، وعاقبته سيّئة؛ إنّ تعليم المرأة سبب لتمرّدها، وهن ناقصات عقل و دين.[1]

٤. الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن فريان، في تعلم بعض الحرف والفنون المعاصرة، من قبيل تعلم فن التصوير، حيث يراه داءً عظيماً، ظهر وانتشر وحدث بسببه الشرك الأكبر في البشرية، واعتبره «الداء القتّال» الذي لا يقتل الجسد بل «يقتل الدين».[2]

فقال وهو متألماً من ذلك محذّراً للأمّة من التعاطي والاهتمام بمثل هذه الأمور:

وأعظم من هذا وأطم إدخاله ـ أي التصوير ـ في التعليم، والنداء على المصوّرات بالبيع في المكاتب والدور والأسواق، بل بعض الناس يحمل معه آلة التصوير بجيبه ويصوّر كلّما أراد. فقد سهلت يا عباد الله طرق الفساد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.[3]

◆ **ثانياً، موقفهم من مظاهر التقدّم العلمي والتكنولوجي**

لقد خالف الكثير من كبار الوهابيين مظاهر التقدّم العلمي والتكنولوجي الموجب للتقدّم الحضاري في مختلف ميادين الحياة، مستغلّون بذلك نقطة الفقر الثقافي عند الناس في الوصول إلى أهدافها المناهضة والمناقضة لمظاهر التقدّم العلمي؛ وذلك من خلال نشر الدعايات وإطلاق الفتوى على أنّ مثل هذه الأمور مبتدعة؛ لأنّها لم تكن موجودة في

١. المصدر السابق، ج١٦، ص٧١، ٧٤، ٧٨، ٨٠ و٨٣.

٢. المصدر السابق، ج١٥، ص٣١٩-٣٢٠.

٣. المصدر السابق، ص٣٢٣.

عصر النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ الذي جاء بها هم الغرب بهدف أبعاد المسلمين واشغالهم عن ممارسة طقوسهم وعباداتهم، وهم بذلك كما قال الشيخ آية الله لطف الله الصافي:

> يسعون لأن يسدّوا على المسلمين طريق التفكّر، والتعقّل، ويشجعون على الجمود الفكري، والوقوف وعدم الانطلاق إلى الأمام، حتّى أنّ بعضهم ممّن يعدّ عند طائفته من أكابر علماء المسلمين كفر في مقال نشرته جريدة البلاد كما نشرته جريدة الدعوة الإسلاميّة، كلّ من قال من المسلمين بأنّ الشمس ثابتة، والأرض جارية، فقال بكلّ جرأة وصراحة، إن كلّ من قال هذا القول، فقد قال كفراً وضلالاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.[1]

وقال الورداني:

> ولو كان القرآن والعقل قد أخذا دورهما في مسيرة الإسلام ما كانت قد وصلت الأمّة إلى ما وصلت إليه من الخنوع والتشرذم وعبادة الرجال. ففي غيبة القرآن اخترعت الكثير من الروايات المضلّلة... .[2]

وقال أيضاً:

> إنّ تحكيم القرآن والعقل في دائرة الأطروحة الشيعية قد منحها القدرة على تجديد محتوياتها ومواكبة الواقع والمتغيرات. بينما بقيت الأطروحة السنية جامدة منغلقة لرفضها الخضوع لحكم القرآن

---

١. *صوت الحق ودعوة الصدق*، ص٢٤.

٢. *الخدعة (رحلتي من السنّة إلى الشيعة)*، ص١٤٦.

والعقل ممّا ولد قداسة غير مباشرة لجميع محتويّاتها وفي مقدماتها كتب الأحاديث خاصّة كتابا البخاري ومسلم اللذان حظيا بقداسة خاصّة من دون الكتب الأخرى... .[1]

حتّى أنّهم بعضهم يرى أنّ من يقول بتمجيد العقل وجعل مكانة له، هو تمجيد إلى الوثنية والصنمية، ولهذا رفضوا منطق العقل، تمسّكوا بالأسلوب الخشن، والتعصّب الأعمى، حتّى أنّ بعضهم ذهب إلى تحريم وسائل العلم من قبيل: استخدام التلفزيون، النقال، الهاتف الأرضي (الثابت)، الانترنت، الراديو وغيرها من الوسائل العلميّة المتطوّرة، حتّى وصفهم السيّد الكثيري بقوله:

وبذلك تعمقت البداوة وازدات قيمها السلبيّة رسوخاً في مجتمع يعاني سلفاً من التخلف الحضاري وتأخره عن ركب المدنيّة المعاصرة.[2]

◆ **ثالثاً، تلفهم لكلّ مظاهر الحضارة والمدنيّة للأمّة الإسلاميّة**

إنّ المعالم الأثرية والتاريخيّة القديمة من جملة المظاهر الحضارية للأمّة الإسلاميّة، ولكنّها قد تعرّضت إلى هجمة شعواء عملت على تحطيمها وخرابها وإندراسها على أيدي جهال الوهابية، بفتوى من يسمّونهم بعلمائهم وفقهائهم، فقد هدموا معالم البقيع التي كانت تضم العديد من المعالم الأثريّة للصحابة، وأهل بيت الوحي والنبوة ﷺ، فهذه فتوى ابن القيم، يأمر فيها جهالهم: «يجب هدم المشاهد التي بُنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها ـ بعد القدرة على هدمها وإبطالها ـ يوماً واحداً».[3]

---

١. المصدر السابق.

٢. انظر *السلفية بين أهل السنّة والإماميّة*، ص٥٠٢.

٣. *زاد المعاد في هدى خير العباد*، ص٦٦١.

أقول: وهل اكتفت الوهابية بما قامت به سابقاً من أعمال تخريبية وتدميرية؟ كلا، فمازالت هي مستمرة في اتّباع منهجها في تحطيم وطمس جميع المعالم والمظاهر الأثرية القيّمة؛ وذلك بحجة أنّها من بواعث الصنمية والوثنية والشرك بالله تعالى، وهي اليوم تمارس نفس الأعمال التخريبية في أغلب البلدان الإسلاميّة في المغرب الإسلامي، حيث قامت بهدم الكثير من أضرحة ومباني أثرية يعود بعضها إلى تاريخ الصحابة والأمة الإسلاميّة، بنفس الحجة السابقة من أنّها إحياء للوثنية والصنمية والعبادات الشركية، حتى أنّ جماعتها قامت بنبش القبور واستخراج الجثث ودفنها في أماكن مجهولة، وهو أسلوب لم يختلف عن أسلوبها السابق في التعامل مع هذه الآثار التاريخية، ففي صباح يوم الاثنين المصادف (١٢/ ٨/ ٢٠٠٢م) قام بهدم مسجد السيد علي العريضي (٧٦٦-٨٢٥م)، وقد واجهت تلك الحملة معارضة شديدة من قبل علماء المسلمين غير الوهابيين، حيث قام البعض باتصالات مع كبار المسؤولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية؛ بهدف إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، إلا أنّ بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض،[1] وقد كان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزاً إسلامياً مهماً لتعليم الدروس الدينية، وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلاميّة؛ وذلك بحجة أنّ المسجد أصبح مقصوداً من قبل الكثير من المسلمين من أهالي المدينة المنورة وزائريها للصلاة فيه، وهذا مخالف لما

١. راجع كتاب *لا ذرائع لهدم آثار النبوة*، فقد ذكر فيه المقالات والبحوث التي نشرت والتي لم تنشر بما يرتبط بهذه المسألة وغيرها من المسائل الأخرى، حيث قام مؤلفه بنقل المؤيدين والمخالفين لهدم المعالم الأثرية وما يرتبط بآثار النبوة، وقد جاء الكتاب في ٢٣٩ صفحة.

يعتقده الوهابي من أنّ ذلك تقديس غير شرعي لمثل هذه الأماكن الدينية، وعلى الرغم من جهود الحكومة السعودية لتنشيط السياحة الدينية والحفاظ على الآثار الإسلاميّة واستحداث لجنة عليا لذلك برئاسة الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، إلا أن النشاط الوهابي المتشدّد يحول دون تطوير المعالم الدينية وتنشيط السياحة الدينية في البلاد، وقد سبق لهؤلاء أيضاً أن مارسوا ضغوطاً شديدة على الحكومة من أجل هدم قلعة أجياد في مكة المكرمة قبل بضعة أشهر وتحويلها إلى مراكز تجارية وسكنية حديثة بعد أن صودرت من متوليها؛ كما تمّ هدم العديد من المواقع الأثرية والدينية في مناطق مختلفة من المملكة للغرض ذاته. قال صدقي الزهاوي:

> ومن أعظم قبائح الوهابية اتباع ابن عبد الوهاب .... ونهبوا الأموال والنقود والأثاث وطرحوا الكتب على البطاح وفي الأزقة والأسواق تعصف بها الرياح، وكان فيها كثير من المصاحف ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه وغير ذلك تبلغ الوفا مؤلفة فمكثت هذه الكتب أياماً وهم يطؤونها بأرجلهم ولا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة، ثم أخربوا البيوت وجعلوها قاعاً صفصفاً، وكان ذلك سنة ١٢١٧ق.[1]

وفيما عبّر الدكتور محمد أنور بن محمد علي البكري من كلية التربية بالمدينة المنورة عن دهشة الأهالي لهدم وإزالة مسجد ومدرسة ومقبرة الإمام أبو الحسن علي العريضي، قائلاً:

١. *الفجر الصادق*، ص٢٢.

كان الأولى..بالجهات المسؤولة عن المساجد والأوقاف المحافظة عليه وصيانته، وتعيين إمام ومؤذن، وحراسة لإقامة الصلوات فيه بدلاً من هدمه وإزالته، وتحمل إثم ووزر هدم بيوت الله تعالى.[1]

وفي رسالته إلى الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد، جاء فيها:

إنّ هدم ونبش قبور المسلمين بصفة عامة محرم في الإسلام، فكيف يُنبش قبر حفيد رسول الله ﷺ وهو الإمام الورع الزاهد، التقي، الجواد، السخي، قمر عترة رسول الله ﷺ، ومن معه أبنائه من أهل العلم والفضل والحسب والنسب المتصل بسيد الخلق ﷺ».[2]

وهكذا جاء بعد ذلك بأنّ الدكتور البكري قد شدّد على أن مثل هذه الأعمال لا تخدم الصالح العام.

ثم إنّ من جملة المعالم الحضارية والأثرية القيّمة التي تمّ تهديمها وخرابها على أيدي الوهابيّة،[3] نذكر منها:

١. فقد ناشد السيد واصف بن أحمد فاضل كابلي في رسالة لولي العهد السعودي في الرابع من جمادي الثانية لعام ١٤٢٣ الموافق الثالث عشر من اغسطس ٢٠٠٢ بـ "تدارك أعمال الهدم..لأثر من الآثار الاسلاميّة التاريخية يعود الى خير العصور عام ١٢٥ق بالمدينة المنورة". فيما عبر الدكتور محمد أنور بن محمد علي البكري من كلية التربية بالمدينة المنورة عن دهشة الأهالي لهدم وازالة مسجد ومدرسة ومقبرة الامام ابو الحسن علي العريضي، فيما جاء فيها: «كان الأولى..بالجهات المسؤولة عن المساجد والأوقاف...الخ ما نقلناه لك». وقد تناقلتها العديد من المواقع تحت عنوان «متشدون يهدمون قبر ومدرسة السيد علي العريضي العلوي».

٢. *الفجر الصادق*، ص ٢٢.

٣. راجع *موسوعة العتبات المقدسة*، جعفر الخياط، ج٢؛ *نجد وملحقاته*، ص ٢٥٦؛ وكذا بحث بعنوان «تدمير السعوديين لتراث الإسلام والمقامات الإسلامية» مقدم للمعهد الإسلامي بلندن في مؤتمر متقبل الحرمين الشريفين المنعقد بتاريخ ٦ ـ ٩ يناير ١٩٨٨، ملا عباس طاهر علي ـ الثورة الإسلامية عدد فبراير ١٩٨٨.

١. بيوتات بني هاشم، التي من بينها البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ ، وبيت النبي إبراهيم عليه السلام ، وبيت أبي طالب عليه السلام ؛

٢. قبور شهداء بدر وعريش تاريخي نصب للنبي محمد ﷺ القائد الأعظم وهو يشرف ويقود المعرك؛

٣. دار الأرقم، أول بيت تربت فيه طلائع الرسالة المحمدية وكان يجتمع الرسول فيه سراً مع أصحاب؛

٤. دار الخيزران: وهي الدار التي كان النبي ﷺ يعبد الله فيها سراً مع الطائفة الكريمة المبادرة للإسلام من أصحابه؛

٥. مولد الخليفة أبي‌بكر، يقول بورخارت أنّه ضمن مسجد يقع في مقابل الحجر الذي كان يحيى النبي ﷺ عند مروره به.

فهذه وغيرها من المعالم الأثرية والمظاهر الحضارية تُهدم وتُطمس ومعالم آل سعود تُحيا، فالأمر محزن ومخجل لمن يعقد مقارنة بين الاهتمام المفرط بآثار عبد العزيز مصدر فخر العائلة المالكة واعتزازها بمجدها الخاصّ والتفريط العابث بآثار المصطفى ﷺ وآثار الإسلام الخالدة. فبينما يبالغ آل سعود في تكريم آبائهم وأجدادهم ببناء المتاحف وترميم القصور القديمة، وبناء القرى التراثية لتخليد ماضيهم، فهناك تساهل يبلغ حد السفه في التعامل مع المعالم التأريخية والآثار الإسلامية والنبوية في مكة والمدينة إلى حد بات المتشددون يعلنونها صراحة وتعنتاً بأنهم عازمون على هدم ما بقي من الآثار بما في ذلك غار حراء وقبور الصحابة، وآخرها إصدار قرار بإزالة قبر رافع بن رفاعة الزرقي، وهو من الأنصار البدريين واستشهد في أُحد؛ كما سيزال مسجد الكاتبية الأثري بحجة تحسين المنطقة الأثرية بعد أن أزالوا كثيراً من الآثار عن الجدران الداخلية للكعبة المشرفة،

وتمتد تلك الآثار والنقوشات إلى ما قبل تاريخ الإسلام، وقد ذكرت مصادر مطلعة بأن تلك الآثار المزالة وبعضها نقوشات مكتوبة بلغات قديمة تعود إلى أيام نبي الله إبراهيم حملت على متن قارب في جدة ورميت في أعماق البحر بحضور أحد المشايخ السلفيين المتشددين.

ولقد هانت على آل سعود عمليات الهدم المتواصلة لآثار المدينتين المقدستين فيما أفرطوا حد الإسفاف في رصد وصيانة كل أثر تركه آباؤهم وأجدادهم حتى صارت زيارة قصر الملك عبد العزيز جزءاً من بروتوكول الزائرين من رؤساء الدول إلى هذه البلاد، حيث تخبر مقتنيات القصر عن أن القائمين على تراث الآباء والأجداد قد أجهدوا أنفسهم في جمع وعرض ما صغر وما كبر من مختصات الملك عبد العزيز بما في ذلك فنجان القهوة ودلالها وحتى السفرة والتنور والفرش والوسادة والخاتم والسيف والدرع، بل لا يكاد المرء يصدق كيف أتقن القائمون على هذا القصر مهمة جمع أدق التفاصيل المادية وأصغرها شأناً وكأن الزائر للمكان يشعر بأن عبد العزيز ما زال حياً بفعل سطوة الحضور الرمزي لتلك الآثار.[1]

◆ **رابعاً، الاعتداءات المتكررة على الأماكن المقدسة والأضرحة المباركة**

قامت الجماعات الوهابية بعدّة اعتداءات وجرائم بشعة بحقّ الأماكن المقدّسة التي أوصى باحترامها الدين الإسلامي، باعتبارها من المعالم الثقافية والحضارية للأمة الإسلاميّة، من جهة، ومن جهة أخرى أنّها محل لربط الإنسان المسلم بقادته وبربّه تعالى، حتى أنّ الإسلام قد دعى إلى الانتهاء عن محاربة وسبّ غير المؤمنين به؛ لئلا يقومون بالمثل في سبّ الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا

١. نقلاً عن مقالة بعنوان «نحو حملة دولية لحماية الإثار الإسلامية» تناقلتها أكثر المواقع الالكترونية.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] وفيها دلالة وعلى أنّ القرآن ينهى عن التجاوز على مقدسات المحترمة عند الناس، بل لا يعد ذلك طريقاً وأسلوباً صحيحاً قائم على أساس الاستدلال والمنطق العقلي.

إلاّ أننا وجدنا الوهابية تجاوزت كلّ القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية والنصوص الشرعية، في تعديها وتجاوزها على مقدّسات المسلمين، فضلاً عن غير المسلمين، غير أنّ الرزية كلّ الرزية، هي أن تقوم جماعة باسم الدين لهدم وطمس المعالم الإسلاميّة والتجاوز عليها بانتهاك حرمتها وقدسيتها، بحجة أنّ مثل ذلك يعدّ من معالم ومظاهر الوثنية والشرك بالله تعالى، وهم لا يعلمون بأنّهم بعملهم هذا قاموا بطمس معالم الحضارية الإسلاميّة، وهو في الواقع طمس للتراث والتأريخ الإسلامي.

ومنها قيام الوهابية بالهجوم الهمجي على قبر النبي ﷺ ونهب ما فيه من الأشياء التأريخية النفيسة، ثمّ القيام بحرق المكتبة الإسلاميّة التي تحتوي على آلاف الكتب والصحف والمخطوطات الثمينية لكبار الصحابة، وكذلك قيامهم بهدم قبور الصحابة وأئمة أهل البيت عليهم السلام المتواجدة في مقبرة البقيع (الغرقد)، وهذا شاهد على وحشية وعنجهية وجاهلية هذه الجماعة.[2]

ويزيد في الطين بلّة ما أجاب به الوهابي سفر الحوالي عندما سئُل عن ضريحي السيدة زينب والسيد البدوي، بقوله: «يجب القضاء على هذه الشركيات، وهذه الأصنام المعبودة من دون الله تبارك وتعالى».[3]

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

٢. انظر *السلفية بين أهل السنّة والإماميّة*، ص٣٢٠-٣٢٨.

٣. كيفية التعامل مع الشرك الشيخ محاضرة للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي نشرت على موقعه.

ولكن أعظم ما يتمونه هو هدم المرقد الشريف للإمام الحسين عليه السلام؛ ليعيدوا بذلك جريمتهم في العشرين من نيسان عام (١٨٠٢م) عندما هاجموا كربلاء وقتلو أكثر من تسعة الآف من الرجال والنساء والأطفال، ونهبوا الضريح المقدّس وما حوته خزائنه من نفائس هدايا الملوك والسلاطين.[١]

وقد جاء في تقرير الباحث رايمون حول فاجعة كربلاء، أنّه قال فيه:

> رأينا مؤخراً في المصير الرهيب الذي كان من نصيب ضريح الإمام الحسين مثالاً مرعباً على قساوة تعصب الوهابيين، فمن المعروف أنّه قد تجمعت في هذه المدينة ثروات لا تعد ولاتحصى وربّما لا يوجد لها مثيل ...وها قد حلّ هذا السوم في الأخير وهو ٢٠ نيسان - إبريل ١٨٠٢م فقد هجم ١٢ ألف وهابي فجأة على ضريح الإمام الحسين وبعد أن استولوا على الغنائم الهائلة التي لم تحمل لهم مثلها أكبر الانتصارات تركوا ما تبقي للنار والسيف، وهلك العجزة والأطفال والنساء جميعاً بسيوف هؤلاء البرابرة...وبنتيجة هذه الكارثة الدموية هلك أكثر من أربعة آلاف شخص.[٢]

ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بحرق المرقد الطاهر بعدما عاثوا فيه فساداً. قال صاحب *كشف الإرتياب* عن بشاعة هذه الفاجعة:

---

١. انظر *السلفية بين أهل السنّة والإماميّة*، ص٣٢٠-٣٢٤.

٢. نقلاً عن *تاريخ السعودية*، ص١١٦-١١٧، وكذلك انظر *أرشيف السياسة الخارجية لروسيا* (١٨٠٣ الإضبارة ٢٢٣٥، ص ٣٨ - ٤٠).

وفي سنة ١٢١٦ جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيماً من أعراب نجد وغزا به العراق، وحاصر كربلاء ثمّ دخلها عنوة، وأعمل في أهلها السيف ولم ينج منهم إلا من فر هارباً أو اختفى في مخبأ أو تحت حطب ونحوه ولم يعثروا عليه، وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله ﷺ السبط الشهيد ونهبها وهدم قبر الحسين عليه السلام واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر، ولم يرع لرسول الله ﷺ ولا لذريته حرمة وأعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلاء ويوم الحرة... وقال العلامة السيد جواد العاملي، صاحب *مفتاح الكرامة*، وفي عصره كان غزوهم للعراق: «إنّ سعوداً الوهابي الخارج في أرض نجد اخترع ما اخترع في الدين وأباح دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمة المعصومين، فأغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين عليه السلام وقتل الرجال والأطفال وأخذ الأموال وعاث في الحضرة المقدسة فأفسد بنيانها وهدم أركانها».[1]

فهذه وغيرها من التجاوزات والاعتداءات والجرائم البشعة تنم عن بغض وحقد هؤلاء للإنسانيّة والرسالة المحمديّة، ولما يرتبط بها من معالم الحضارة الإسلاميّة.

١. *كشف الارتياب في اتباع محمد عبد الوهاب*، ص ٢٠.

◆ **خامساً: منهجهم الإرهابي في التكفير والتقتيل**

إنّ استخدامهم لمنهج التكفير والتقتيل للمسلمين سابقاً، وللشيعة وغير المسلمين في العصر الحاضر؛ سابقاً وحاضراً، لأمر واضح وضح الشمس في رابعة النهار؛ إذ نجدهم لا يتعاملون بروح الإسلام مع جميع الطوائف الدينية، كما لاحظنا ذلك جلياً في قتلهم للمسيحيين في العراق والعمل على تفجير كنائسهم، كفاجعة كنسية مريم في بغداد التي أودت بأرواح عشرات المسيحيين الذين كانوا متواجدين فيها، فكانت جريمة بشعة تناقلتها وسائل الإعلام العالميّة، واستنكرتها أشدّ الاستنكار؛ لأنّها جريمة بحق الإنسانيّة، وأمّا بالنسبة لجرائمهم بحق الشيعة الإماميّة في العراق فقد لا يخلو يوم من الأيّام إلا لهم فيه شهداء من الرجال والنساء والأطفال والشباب، حتى تجاوز عدد الشهداء في بعضها على الألف شهيد في حادثة واحدة من النساء والأطفال والشباب والشيوخ، كحادثة جسر الأئمة التي طالت زوار الإمام الكاظم عليه السلام !

فأصبحت هذه الجرائم البشعة أفضل ذريعة لاجتماع الغرب وأعداء المسلمين في الاصطفاف صفاً واحداً، وإعلان الحرب على المسلمين، باسم الحرب على الإرهاب، بل كانت أفضل الأساليب المنفرة والمبعّدة لمن يريد اعتناق الديانة الإسلاميّة؛ لأنّهم يرون الإسلام من خلال أفعال المسلمين، وهذه الجماعات التكفيريّة تقوم بجميع جرائم اللاإنسانيّة باسم الدين الإسلامي، وباسم الجهاد والمقاومة الإسلاميّة، فمن الطبيعي أن يكون مثل هذا الأمر يوجب في قلب هؤلاء الراغبين في اعتناق الدين الإسلامي، النفرة والابتعاد عنه؛ لأنّهم يعتبرون الدين الذي يقبل بوجود مثل هذه الجماعات التكفيرية لا يستحق الاعتناق، ولكنّهم غفلوا عن وجود علماء مسلمين مخلصين أتقياء قد وقفوا بوجهه هذه الجماعات منذ يومها الأوّل وكشفوا حقيقتها وأهدافها، وعملوا بكلّ ما أتيح

لهم في الحدّ والتحذير من الانتماء إلى هذه الحركة المعادية للإسلام والإنسان، ولكن دون جدوى، قال الدكتور محمد عوض الخطيب:

> انطلقت الوهابيّة من نظرة خاصّة للإسلام احتوت على الحدّ الأقصى من التزمت وضيق الأفق، مسيئة الظن بالمسلمين إلى درجة اعتبارهم بشكل مسبق مشركين وكافرين.[1]

وقال محمد سليم الأسكندراني في وصفهم: «إنّي اجتمعت بكثير من علمائهم فوجدتهم من الجهل بمكان ومن العلم بمعزل».[2]

كما أنّها لا تقتنع بالدليل والبرهان القاطع والحجة والدامغة؛ كما قال الشيخ كاشف الغطاء:

> لو كنا نعلم أنّهم يقنعون بالحجة البالغة ويخضعون للأدلة القاطعة، لملأنا الطوامير من الحجج الباهرة التي تترك الحق أضحى من ذكاء، وأجلى من صفحة السماء، ولكن سلطان نجد له حجتان قاطعتان عليهما يعتمد، وإليهما يستند، ولا فائدة إلا بمقابلتهما أو بأقوى منهما، وهما: الحسام البتار، والدرهم والدينار، السيف والسنان، والأحمر الرنان، هذا لقوم وذلك للآخرين... .[3]

وقال الأستاذ حسين أحمد أمين: «التكفير سلاح من لا حجة له».[4]

---

١. *صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث*، ص١٣٠.

٢. المصدر السابق، ص١٥٦.

٣. مجلة *تراثنا*، العدد الرابع (١٣) لسنة الثالثة، شوال ١٤٠٨، ص١٨٦.

٤. نقلاً عن *السلفية بين أهل السنّة والإمامية*، ص٦٩٥.

ثمّ إنّ الفتاوى التي تصدر عن رجال الدين السعوديين، تُعد تدخّلاً سافراً في الشأن الأمني الوطني لتلك البلدان التي يتواجد فيها الشيعة وغير المسلمين، بحسب القانون الدولي، ولذا فعلى أصحاب القرار في السعودية أن يصدروا قراراً بإلغاء كل هذه الفتاوى، وإلا فهم يتحملون المسؤولية الشرعية والقانونية الكاملة لما يجري من تفجيرات وأعمال تخريب وقتل وإتلاف للأموال والممتلكات وهتك للأعراض بشكل قبلي وجاهلي غير مسبوق. كما أننا ندعو زعماء الوهابية المتصدين للفتوى أن يختاروا المنهج الانساني والحواري المتحضر، بعيداً عن أعمال العنف ودعوات التكفير والقتل و استباحة الدماء وهدر أموال المسلمين، بل وما يترتب على ذلك من الضرر المعنوي فضلاً عن الضرر المادي.

◆ **سادساً: العمل على تمزق وحدة الأمّة الإسلاميّة**

إنّ زرع الفتنة والفِرقة من أكبر العوامل الباعث على تخلّف الأمّة والمجتمع عن الركب الحضاري، وقد حارب الإسلام كلّ من يدعو إلى ذلك وأمر بمقاتلته ومقاطعته، لأنّ مثل ذلك يؤدي إلى إضعاف المسلمين، وتمزق صفهم الواحد، قال تعالى: ﴿**سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا**﴾،[1] وقال تعالى: ﴿**...يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ**﴾،[2] وقال تعالى: ﴿**لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ...**﴾[3] وقال

١. سورة النساء، الآية ٩١.

٢. سورة التوبة، الآية ٤٧.

٣. سورة التوبة، الآية ٤٨.

تعـــــالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾.[1]

ولكننا نجد الوهابية قد كرّست جهدها على رزع الفرقة بين المسلمين بشتى الوسائل والطرق والأساليب الحديثة، التي قد ساعدتها في أداء مهمتها هذه. قال السيد الكثيري:

> ففي مصر والسودان والمغرب على سبيل المثال يخوض السلفية صراعات مريرة مع الصوفية وأتباع الطرق، يستخدمون فيها جل المصطلحات التي تزودهم بها ترسانتهم الدعوية: من ضال، ومبتدع، إلى كافر، وهلمّ جرا... .[2]

ويقول الدكتور البوطي:

> وانطلقوا يتصدون لكلّ متدين يخالفهم في اجتهاداتهم أو يصر على تمسكه بمذهب إمام من الأئمة الأربعة، أو يعلن عن ضعفه عن الاجتهاد وحاجته إلى التقليد، فيثيرون معهم جدالاً لا نهاية له، وينتهون بهم إلى شحناء لا مسوغ لها، ويتهمونهم بالضلال، ويرمونهم بالجهل، يصفون كتبهم بالصدأ والانحراف... .[3]

ويقول أيضاً:

> «فلقد أخذت تقارع وحدة المسلمين، وتسعى جاهدة إلى تبديد تآلفهم وتحويل تعاونهم إلى تناحر وتناكر.... ولقد اشتدّت هذه

١. سورة الأحزاب، الآية ١٤.

٢. *السلفية بين أهل السنّة والإماميّة*، ص٤٤٧.

٣. *اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلاميّة*، ص٩٠.

الخصومات منذ بضع سنوات، في مسجد واشنطن إلى درجة ألجأت السلطات الإمريكيّة إلى التدخل، ثم إغلاق المسجد لبضعة شهور، ولقد اشتدت هذه الخصومات ذاتها وهاجت، في أحد مساجد باريس، منذ ثلاثة أعوام، حتى اضطرت الشرطة الفرنسية إلى اقتحام المسجد... .[1]

وقبل ذلك قد عاش المسلمين على مختلف مذاهبهم الفقهية وفرقهم الكلاميّة جنب إلى جنب، ولم يكن بين هؤلاء ما يدعو إلى وجوب المقاتلة والتكفير لبعضهم البعض، بل لم تكن هناك قيود خاصّة أو حظر معين من حضور وتتلمذ بعض أتباع هذه المذاهب في مدرسة وعلى يدي من لم يعتقد بمذهبه أو فكره من سائر المذاهب الإسلاميّة والمدارس الأخرى، فالحنبلي يتتلمذ على يد الحنفي، والحنفي على يد الشيعي، والشيعي على يد شافعي، وهكذا، والتأريخ زاخر باسماء هؤلاء التلاميذ، وكيف كانت المدارس حاضنة لمختلفة الطلاب من شتى المذاهب والفرق الإسلامي، والجميع يعيش فيها بأمن واستقرار ومحبّة، ولا توجد فتاوى تحرّم مثل هذا العمل الإسلامي والإنساني.

◆ **عوامل ساعدت الوهابيّة في زرع الفتنة والتفرقة**

لقد قامت الوهابيّة بالعمل في عدّة مجالات واتخاذها لمجموعة من الطرق والأساليب، من شأنها أن تمزيق وحدة الأمّة الإسلاميّة، ورزع الفرقة والاختلاف بين أبنائها، وقد كانت من بين تلك الطرق والوسائل التي استخدمتها لتحقيق مآربها، هي:

---

١. *السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي*، ص٢٤٤-٢٤٥

١. نشر الكتب الداعية إلى تفريق الأمّة والمتضمّنة لعقائد الوهابيّة في التوحيد ونبذ الشرك وفق الفكر الوهابي، والعمل على توزيعها مجاناً على الزائرين والحاجين لبيت الله تعالى في كلّ عام:

كما لا غرو أن يصدر كلّ ذلك في هذا العصر عصر العلم والتفتح العلمي ما دامت هناك حكومات وأنظمة تجد بقاءها واستمرارها في إيجاد الفرقة بين طوائف المسلمين، وإنقسام الأمّة الواحدة إلى شعوب متنازعة بدل أن تكون متعارفة متعاطفة ... وقد كان كتاب الخطوط العريضة لمحب الدين هذا من جملة تلك الأوراق المسمومة والصحائف الصفراء التي قامت الحكومة السعودية الجائرة بطبعها ونشرها وترويجها، وهو الكتاب الذي ألصق فيه الخطيب الحاقد تهماً كثيرة بالشيعة، وسعى في تشويه سمعتهم الناصعة بهدف إيجاد الشقاق والفرقة بين المسلمين، فقد طبع هذا الكتاب على نفقة النظام السعودي وقامت سلطات السعودية بتوزيعه على الحجيج مجاناً تحقيقاً لأهداف الاستعمار البغيض الذي لا تروقه وحدة الصف الاسلامي وتماسكه.[1]

وقال السيد الكثيري:

وعليه فالأطنان من الكتيبات والفتاوى التي وصلت الجزائر ووزعت مجاناً، كان الغرض منها خلق رأي عام ضد الشيعة والتشيع وسد الطريق على أبناء الصحوة الإسلاميّة هناك كي لا يعرفوا بعض

١. *صوت الحق ودعوة الصدقة*، ص١٧.

الحقائق التأريخ، ومن ثم توجيههم مستقبلاً لضرب المذاهب المناهضة للاستعمار وعلى رأسها التشيع والشيعة، والعدو المهم للغرب وللمملكة الوهابية في العصر الحاضر... .[1]

وقد حذّر المولى من استخدام هذه الأساليب العدائية، حيث قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.[2]

وقال الشيخ الصافي أيضاً في وصف هذه الكتب المؤلفة في السعودية وبالخصوص ما جاء في كتاب *العواصم من القواصم*:

فقرأته، وعجبت من سعي كاتبه في تفريق كلمة المسلمين، ولعمر الحقّ ما كان يخطر ببالي أن أحداً من المسلمين يجعل مهمته الاحتفاظ باختلاف الكلمة، والتباعد، وتشديد المجادلات الطائفية، ويعارض دعوة المصلحين من الزعماء والرؤساء والعلماء إلى التقريب إلى الوحدة الإسلاميّة، ويخطئهم جميعاً، ويتبع غير سبيل المؤمنين، ويرد في هذه النداءات، والصيحات التي رفعت من العلماء والرجال البارزين الغيارى على الإسلام من الشيعة والسنّة في شرق الأرض وغربها ويتهم الجميع بالجهل والكذب ، والنفاق والخداع . وأعجب من ذلك وأعظم مصيبة على المسلمين أن يكون القائم بنشرها جامعة المدينة المنورة الإسلاميّة التي [ينبغي] أن تكرس كل جودها للدفاع

١. *السلفية بين أهل السنة والإمامية*، ص٤٥١.

٢. سورة البقرة، الآية ٧٩.

عن وجودنا الإسلامي شيعة وسنة ، وإرشاد المسلمين إلى ترك الجفوة والبغضاء. وأن تساهم بما عندها من طاقات مع العلماء المصلحين من الفريقين لتحقيق التقريب والأخوة الإسلاميّة.[1]

٢. إرسال الدعاة والمبلغين إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي وتكلّفهم بمهمة رزع الفرق والاختلاف بين المسلمين، بل تجاوز الأمر حدّه؛ إذ لم تسلم المناهج الدراسية من التحريف والتحريض على الفتنة، فقد استخدم النظام السعودي المدارس للترويج للمذهب الوهابي وبث ثقافة الكراهية لدى طلاب المدارس، حيث تعتبر المناهج الدراسية للنظام السعودي من أكثر المناهج خطراً على الأفكار وبث روح الحقد والكراهية؛ لأنّها تغذي التلاميذ بالمفاهيم والمبادئ الهدامة والقيم العنصرية، ويتم تلوينها بمقولات دينية حتى تكتسب قداسة في عقول التلاميذ:

وأن برامج تعاليمهم وسياساتهم، وحكوماتهم بعيدة عن روح الإسلام ومبادئه السمحاء التي لا خلاف فيها بين الأمة شيعة وسنة. لا أن يقول عن طوائف المسلمين ما يورث الشنآن، والبغضاء وما لا يستقبله جيلنا الحاضر إلا بالنفور، ولا يزيد الأمة إلا جهلاً، وفي كليهما خدمة لأعداء الإسلام ، – الاستعمار والصهيونية.[2]

وهذه طريقة لتوظيف المؤسسات التربوية لخدمة الأغراض السياسية وتحرف معتقدات التلاميذ، وتغرس مفهوم حماية الدين من خلال قمع الآخر والقضاء عليه مادياً.

١. *السلفية بين أهل السنّة والإمامية*، ص ٤٥١.

٢. *صوت الحق ودعوة الصدق*، ص ٢٠.

٣. العمل على تبليغ الفرقة والاختلاف عن طريق منبر الجمعة والدرس، ووسائل الإعلام الحديث المرئية والمسموعة، بهدف الدفاع عن التوحيد ومحاربة المشركين الخارجين عن الدين الإسلامي، حتى قال الشيخ الصافي:

> على الخطيب الذي يخطب في المسجدين لهذه الجموع الغفيرة القادمة لأداء فريضة الحج المقدّسة من كلّ فج عميق أن يزودهم من تعاليم الإسلام بما يؤدي بهم إلى اتباع سبيل الاستقامة، والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، والجهاد ضد الإلحاد الذي أحاط بالعالم الإسلامي من كل جانب، ويحثهم على مقاومة التيارات الخبيثة، ويوجههم إلى الأساليب التي أدّت إلى إبعاد الشيعة عن المناهج الإسلاميّة، وجعلت مجتمعاتهم أشبه بالمجتمعات الغربية.[1]

في حين نجد فتوى الشيخ عبدالرحمن البراك بكفر الرافضة الإمامية، قد نشرت على موقعه على الإنترنت، يقول فيها إنّ:

> الرافضة في جملتهم هم شر طوائف الأمة، واجتمع فيهم من موجبات الكفر؛ تكفير الصحابة.. وتعطيل الصفات.. والشرك في العبادة بدعاء الأموات.. والاستغاثة بهم..هذا واقع الرافضة الإمامية الذين أشهرهم "الاثنا عشرية"، فهم في الحقيقة كفار، مشركون، لكنهم يكتمون ذلك... أن مذهب أهل السنة.. ومذهب الشيعة

١. *صوت الحق و دعوة الصدق*، ص ٢٠.

ضدان لا يجتمعان، فلا يمكن التقريب إلا على أساس التنازل عن أصول مذهب السنّة، أو بعضها، أو السكوت عن باطل الرافضة، وهذا مطلب لكل منحرف عن الصراط المستقيم.[1]

٤. القيام بالعمليات الإرهابية لقتل الإبرياء والعزل، بحجة خروجهم عن الدين وكفرهم بالإسلام، وباسم الجهاد والمقاومة الإسلاميّة، وخير مثال ما جرى وما زال في العراق من جرائم قتل واعتداءات بغيضة للشيعة ومقدساتهم.

أقول: لم يتعرض الاسلام ـ كدين سماوي ـ من الداخل إلى حالة من التشوية والمحاربة مثلما تعرض إليه في الوقت الراهن على يدي هذه الجماعات الإرهابية التكفيرية، وربّما يرجع هذا في نتيجته لأسباب خارجية متمثّلة بحملة منظمة تشّنها دول الاستكبار العالمية ضد الاسلام والمسلمين.

بينما يتم اليوم تجاهل الأسباب الداخلية، التي لعبت دوراً خطيراً في الابتعاد عن روحية الاسلام، كنظرية حياتية متكاملة تجعل القيم الاخلاقية العليا واحترام الانسان وصيانة عرضه وماله من أهم خصائصه، كما يعتبر نمو التيار الوهابي المتطرف واستلامه السلطة في أحد أغنى دول العالم، وتوظيف قسم من أموال النفط الهائلة من أجل نشر هذا الفكر اللاانساني وغرس ثقافة العنف وتصديره إلى أوربا ودول إسلامية أخرى، وهو من أهم الأخطار الداخلية التي واجهها الإسلام منذ نشوئه الى الآن، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن جميع التيارات الإسلاميّة المتطرفة الأخرى التي مرّ بها التاريخ كانت لها تأثيرات محدود لا ترتقي إلى التأثيرات السلبية التي تركتها الحركة الوهابية على الدين الاسلامي الحنيف.

١. فتوى صدرها البراك ضد عوام الشيعة، ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٦ الموافق ٢٦/ ١١/ ١٤٢٧ق رقم الفتوى ١٨٠٨٠ .

وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العلاقات السياسية والمصالح الاقتصادية والعمالة لأمريكا، التي أسكتت الدول المتضررة من الإرهاب من التشخيص الواقعي لمسببات الإرهاب، ومادام حال هذه الدول من غض الطرف عن حقيقة ومصدر الإرهاب لأسباب سياسية، وحفاظاً على مصالحها الاقتصادية التي تعتقد أنها ستتضرر لو أنّها صرّحت بالحقيقة وحرّمت الفكر الوهابي، واعتبرته خطراً داهماً على الأفراد والمؤسسات، وتياراً متخلّفاً يحقد على الحضارة الإنسانية، ويلغي العقل ويعود بالإنسان الى عصر البداوة والتخلّف.

وعليه فيجب على كل الشعوب المحبّة للسلام وللإسلام أن تعمل على كافة المستويات، شعبياً وسياسياً وإعلامياً من أجل إماطة اللثام عن هذا الفكر المتحجر، وكشف من يقوم بتبنيه ورعايته وتبيان بشاعة جرائمه في العراق ولندن ومدريد والجزائر والمغرب وفي غيرها، كما أنّه أصبح من الضروري جداً أن يتحرك المجتمع الدولي لإصدار قراراً أممياً يعتبر الفكر الوهابي فكراً لايقل خطراً عن النازية والفاشية، ويجرم أي دولة تتبناه أو ترعاه أو تجعل أراضيها منطلقاً لنشاطه، كما يجب على كافة المثقفين من كتّاب ومبدعين التصدي لهذه الظاهرة المتخلفة التي زُرعت في قلب الأمّة الإسلاميّة ومهد حضارتها ومهبط وحيها ورسالتها.

٥. استخدامهم لمنطق القوة والعنف في مواجهة المخالفين لهم في العقيدة والفكر، أو كل من يقف بوجههم ومحاربة أفكارهم، وهذا هو من مهمة القاعدة الإرهابية، التي انتشر أفرادها في مختلف بقاع العالم المعاصر باسم المجاهدين والفدائيين، حيث قامت هذه القاعدة بتجنيد بعض الأفراد وتوطين أنفسهم على القيام بعمليات إرهابية انتحارية متى ما لزم الأمر والحاجة إلى ذلك.

ولما تبثه من أفكار وسلوكيات تحض على العنف والإرهاب والكراهية وسهولة التكفير ضد كل من يخالفهم في الرأي، وتشوه بسلوكها الشائن المقاومة الإسلاميّة في فلسطين والعراق، وأنه من الواجب شرعاً وقانوناً مقاومة هذا الفكر وأتباعه بكافة السبل المتاحة؛ كما جاء ذلك في الندوة الإسلاميّة المتخصصة والموسعة التي عقدت السبت في القاهرة تحت عنوان «الوهابية: خطر على الإسلام والعالم»[1] وشارك فيها بالأبحاث والنقاش كل من الشيخ الدكتور عبدالرحمن السبكي من علماء الأزهر الشريف، المفكر الدكتور، أحمد السايح أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلاميّة بالأزهر الشريف، المستشار، أحمد عبده ماهر من كبار العلماء المتخصصين في الحركات الإسلاميّة في مصر، عبد الفتاح عساكر المفكر الإسلامي المعروف، عبد الله السعداوي المفكر والمعارض القومي الحجازي، أحمد شوقي الفنجري المفكر الإسلامي المعروف، علي عبد الجواد الخبير في دراسات الحركات الإسلاميّة، ولفيف من العلماء والخبراء. هذا وقد خلصت الندوة إلى جملة من التوصيات والنتائج كان أبرزها:

١. أكدوا على أن الوهابية كدعوة وفكر تقوم على نفي الآخر وتكفيره، وأنها تهدد الأمن والسلم في كافة دول العالم الإسلامي لما تبثه من أفكار إرهابية وإجرامية شديدة الخطورة، أفكار تدفع الشباب الإسلامي إلى تكفير وإرهاب المجتمع والحكام لأوهى الأسباب.

٢. أكدوا على موقف الوهابية السلبي من المرأة والعلم، والموسيقى وجميع الفنون، ومن المسيحيين، بل من أصحاب المذاهب الإسلاميّة الأخرى كالشيعة والأشاعرة

١. ذكر ذلك في ندوة عقدت في القاهرة حضرها علماء وخبراء تحت عنوان «الوهابية خطر على الإسلام».

وغيرهم، وهي دعوة للجاهلية، وأغلب الموروث الوهابي قائم على الإرهاب الفكري والديني، ومخاصمة الواقع والعقل.

٣. مطالبتهم بضرورة إعداد استراتيجية إسلاميّة وعالميّة ثقافية وسياسية لمقاومة الوهابية، وأنه ينبغي أن يكون للأزهر الشريف دور في ذلك؛ لأنّه مؤسسة الاعتدال الإسلامي قبل أن يتم اختراقه من الوهابية ومن يسموا بالدعاة الجدد من السلفيين المتشددين.

◆ **سادساً، عدم رعاية حقوق الإنسان وحرمته**

لم يكن في منهج وفكر الوهابية ما يسمّى بحقوق الإنسان؛ لأنّها تسعى دائماً إلى سحق هذه الحقوق باسم الخروج عن الدين، حتى تجاوز الأمر إلى قتل الأبرياء من النساء والأطفال، والشيوخ من كبار السن، هؤلاء الذين أولى الإسلام بعدم قتلهم والتعدي عليهم بأنواع التجاوزات اللاإنسانية واللاأخلاقية، غير أنّ ما يرتكبه هؤلاء الوهابيين في حق هؤلاء الأبرياء مما يندى له الجبين، كالجرائم التي ترتكبها في العراق وافغانستان وباكستان وغيرها، يقول الدكتور محمد الخطيب:

> فهم يطبقون الأحكام الإسلامية بطريقة جائرة ظالمة مثيرة للأشمئزاز والاستغراب وتعود على الدين الحنيف بأسواء الأثر، فقطع الأيدي والأرجل، بل قطع الرؤوس من الأمور السائدة والمتمادية، وهي تجري بناء على أحكام قضاة جهلة وبعد تحقيقات يقوم بها شرطة أميون، كما تصدر تشريعات أحياناً مجانبة للإسلام نصاً وروحاً... ففي كل يوم جمعة تجري في مدن المملكة المختلفة عمليات تنفيذ العقوبات لمن لا سند له نت الأمراء أو من السفارات الهامة،

بطريقة تدل على وحشية بالغة تسمح لأعداء الإسلام بوصفه بأشنع التنعوت.[1]

وقال الشيخ محمد مرعي الأنطاكي:

كنا نسمع عن الوهابية بأنّهم يقيمون الحدود ويجرون الأحكام الشرعية تماماً، فهاجرنا إلى الحجاز، وتخللنا بينهم مدّة فوجدنا الأخبار التي وصلتنا من القطر الحجازي كانت على خلاف الواقع. فإنّهم أضر على الإسلام من كل شيء وقد شوهوا سمعة الإسلام بأعمالهم وأفعالهم وبسوء فتاوى علمائهم.[2]

◆ **سابعاً، واعتمادها على الفقر الثقافي لدى عامة الناس**

إنّ من يتابع مسيرة وتحرك الوهابية في نشر أفكارها وتعاليمها، فإنّه سيقف على ظاهرة عامة، وهي أنّها تعتمد دائماً على استغلال الفقر الثقافي عند عامة الناس في الوصول إلى أهدافها، وفي محاربة للتقدم الحضاري، بتوجيه أنّ مثل هذه الأمور مبتدعة لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ، وإنّها جاء بها الغرب بهدف أبعاد المسلمين عن اشتغالهم عن العبادة.

قال صالح الورداني:

إن تحكيم القرآن والعقل في دائرة الأطروحة الشيعية قد منحها القدرة على تجديد محتوياتها ومواكبة الواقع والمتغيرات . بينما بقيت الأطروحة السنية جامدة منغلقة لرفضها الخضوع لحكم القرآن

١. *صفحات من تاريخ الجزيرة العربية*، ص١٥٤.

٢. *المستبصرون*، ص٣٧٤-٣٧٥.

والعقل مما ولد قداسة غير مباشرة لجميع محتوياتها وفي مقدماتها كتب الأحاديث خاصة كتابا البخاري ومسلم اللذان حظيا بقداسة خاصة من دون الكتب الأخرى...[1]

حتى أنّهم يرون من يقول بتمجيد العقل وجعل مكانة له، في الواقع هو تمجيد إلى الوثنية والصنمية، ولهذا رفضوا منطق العقل، تمسكوا بالأسلوب الخشن، والتعصب الأعمى.

ومن ثم ذهب كبارهم إلى تحريم وسائل العلم من قبيل استخدام التلفزيون، النقال، الهاتف الأرضي (الثابت)، الانترنيت، الراديو وغيرها من الوسائل العلمية المتطورة.

◆ **النتيجة**

أنّه إذا استمرت هذه الجماعة (الوهابية) على مواصلة نهجها في التعامل مع أسس ومقومات الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى سائر تصرفاتها الأخرى في الجانب الفكري والثقافي والسياسي، فإنّ الأمّة الإسلاميّة ستكون هي المسؤولة أمام الله تعالى عن جميع النتائج والآثار السلبية التي ستجنيها في المستقبل القريب؛ ولذا نحن نذكرها ببعض الأمور، وهي:

أولاً، أن تلتفت إلى خطورة هذا النهج المنحرف عن المنهج الإسلامي الصحيح؛ الذي إذا ما استمر فإنّه سوف يقوض أسس ومقومات الحضارة الإسلاميّة، ويقضي على معالمها في البلدان الإسلاميّة، وبالتالي يؤدي إلى تخلف الأمّة الإسلاميّة عن ركبها الحضاري.

١. *الخدعة* (رحلتي من السنّة إلى الشيعة)، ص١٤٦.

ثانياً، إنّ ممارسة الوهابية في المجال الفكري والتطبيق العملي يتناغم مع أفكار وأساليب القوى المعادية للإسلام، التي تسعى للقضاء على الإسلام بالعمل من الداخل؛ وذلك عن طريق من يشوّه صورة الإسلام في الخارج؛ لإدراكهم لخطورته على دياناتها وعقائدها الباطلة.

ثالثاً، الالتفات إلى خطورة ما ستؤول إليه ثمرات الصحوة الإسلاميّة في البلدان العربية، وما تخطط إليه قوى الاستكبار العالمي المعادي للإسلام والمسلمين، عن طريق الاستفادة من هذه الجماعات الإسلامية في المجال السياسي، والتي بدأت تستثمر الفرصة في الانقضاض على السلطة والحكومة في البلدان العربية المنتفضة، وبالتالي تكون أداة كبيرة لضرب الإسلام والمسلمين وتشويه صورتها أمام الرأي العام، وإلجاء الأمة إلى اختيار القادة اللبراليين والعلمانيين بعد ذلك بديلاً عنهم.

رابعاً، الالتفات إلى خطورة ما تخطط وتسعى إليه قوى الاستكبارية العالمية من وراء توقعيها لمعاهدات السلم والتعاون مع هذه الجماعات الإسلاميّة الفائزة في الانتخابات، ومنها الجماعة الوهابية ذات الحظ الأوفر في بعض البلدان العربية المنتفضة.

خامساً، إنّ حالة الصمت المطبق لعلماء الإسلام إزاء ما يحصل في الأمّة الإسلاميّة نتيجة التصرفات الهمجية لأتباع الوهابية، من قتل وإفساد وهدم للمعالم الحضارية والآثار التأريخية، سيؤدي بالتالي إلى نتيجة وخيمة لا تُحمد عقباها، وعندها لا يفيد العلاج مع الداء، مع ما فيه مخالفة صريحة لما روي عن الصادقين عليهما السلام: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه. فإنّ لم يفعل سلب منه نور الإيمان».[1]

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٠٣.

سادساً، الالتفات إلى عدم اتخاذ مجلس الأمن الدولي قراراً بمعاقبة الدول الحاضنة لأفراد القاعدة (الوهابية)، مع تظلمه وتظلم الدول الاستكبارية لخطورة القاعدة واستنكارهم لجرائمها في المشرق والمغرب العالمي، لهو أكبر دليل مؤشر على طبيعة العلاقة الحسنة بينها وبين القاعدة، وإلا كيف يمكن الجمع بين القول بأنّ القاعدة (الوهابية) تهدد الأمن والسلام العالمي وبين التعاطي والاتفاق معها ومع الدول الحاضنة لها في إبرام الاتفاقيات والمعاهدات في التعاون والعمل المشترك ؟!

سابعاً، يجب على علماء وفكري الأمّة الإسلاميّة أن يضعوا خطة واستراتيجية جديدة في التعامل والتعاطي مع الوهابية وأساليبها اللاإنسانية، انطلاقاً من حرصهم على حفظ المبادئ والقيم والتعاليم الإسلامية، ومن باب أدائهم لرسالتهم الإنسانية ووظيفتهم الشرعية إزاء أبناء جلدتهم.

◆ المصادر

* القرآن الكريم.

١. *الإسلام والنصرانيّة مع العلم والمدنيّة*: محمد عبدة، جار الحداثة ، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.

٢. *تاريخ العربيّة السعوديّة*: فاسيليف، موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م.

٣. *تراثنا*: العدد الرابع (١٣) لسنة الثالثة، شوال ١٤٠٨ق.

٤. *الخدعة (رحلتي من السنة إلى الشيعة)*: صالح الورداني، بيروت: دار النخيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٥. *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*: علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧ق.

٦. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى.

٧. *السلفية بين أهل السنّة والإماميّة*: السيد محمد الكثيري، ايران، قم: مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

٨. *السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي*: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دمشق: دارالفكر، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م.

٩. *السلفية ودعوة محمد عبد الوهاب*: الدكتور محمود عبد الحليم.

١٠. *السنن الكبرى*: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى.

١١. *صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث*: الدكتور محمد عوض الخطيب، بيروت: دارالمعارج، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٢. *صوت الحق ودعوة الصدق*: الشيخ آية الله لطف الله الصافي، بيروت: نشر دار التعارف.

١٣. *عيون أخبار الرضا عليه السلام*: الشيخ محمد بن علي الصدوق، بيروت: نشر مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ق.

١٤. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

١٥. فتوى صدرها البراك ضد عوام الشيعة: ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٦ الموافق ٢٦/ ١١/ ١٤٢٧ق، رقم الفتوى ١٨٠٨٠ .

١٦. *الفجر الصادق*: جميل صدقي الزهاوي، تركيه: نشر مكتبة أشيق استنبول، ١٩٨٤م.

١٧. كيفية التعامل مع الشرك (محاضرة للدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي) متاحة على موقعه (http://www.alhawali.com).

١٨. *لا ذرائع لهدم آثار النبوة*: الدكتور عمر عبدالله كامل، بيروت: نشر دار بيسان للنشر والتوزيع.
١٩. *اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية*: الدكتور محمد سعيد البوطي، دمشق: نشر مكتبة الفارابي.
٢٠. *المستبصرون*: غلام أصغر البجوردي، بيروت: دار الصفوة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٢١. *مستدرك الوسائل*: المحدث ميرزا حسين النوري الطبرسي ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
٢٢. *المستدرك على الصحيحين*: الحاكم أبوعبدالله النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: نشر دار المعرفة.
٢٣. *المسند*: أحمد بن حنبل، بيروت: نشر دارالفكر، الطبعة الأولى.
٢٤. *مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق* عليه السلام ، بيروت: نشر مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٢٥. *موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف*: جعفر الخياط الخليلي، بيروت: نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ق.